Damascus University Journal for engineering sciences
Vo 40 number (4) -2024:348 -365

مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد40 العدد(4) – 2024: 348- 365

محاولة لقراءة حركة العمران في يبرود من العصور الحجرية حتى منتصف القرن العشرين

وسيله عدنان كشكيه[1*] ناديا محمد بصير[2]

[1*]. طالبة دكتوراه في كلية الهندسة المعمارية، قسم علوم البناء والتنفيذ، جامعة دمشق.
Email: wasela3.keshkiah@damascusuniversity.edu.sy

[2]. دكتورة في كلية الهندسة المعمارية، قسم علوم البناء والتنفيذ، جامعة دمشق.

الملخص:

عرفت يبرود في التاريخ القديم بأنها إحدى أهم مستوطنات ما قبل التاريخ. تم إجراء العديد من الحفريات والاكتشافات في الملاجئ الصخرية. لكن المعلومات حول الاستيطان في هذه المنطقة بعد هذه الفترة بقيت قليلة ومتفرقة. تهدف هذه الورقة إلى تحديد بداية العمران وانتشاره في يبرود حتى منتصف القرن العشرين. نحاول جمع تقارير التنقيب التي أجريت في يبرود، والدراسات التاريخية للمنطقة عبر فترات عديدة. واستكمال ذلك بالعمل على الأرض لتوثيق الأبنية التقليدية القائمة، ومحاولة التعرف على محددات العمران ومعوقات انتشاره.

أظهر البحث أن الاستيطان بدأ في ملاجئ حجرية فوق الجبال المحيطة بيبرود، ثم نزولاً عند حافة السهل الزراعي أيام الكنعانيين، ثم انتقل إلى وسط السهل فوق تل من الجير (القبع) أيام الآراميين. وفيما بعد توسعت المدينة حول التل في البداية، ثم إلى الشرق والغرب على شكل حرف T واستمر ذلك حتى منتصف القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: مستوطنات، التوسع العمراني، الآراميين، الرومان، يبرود.

تاريخ الايداع:30 /2022/9
تاريخ القبول: 21 /2023/2

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص **CC BY-NC-SA 04**

An Approach to Inspect the Urban Movement in Yabroud from the Stone Ages Until the Middle of the 20th Century

Wasela Adnan Keshkiah*[1] Nadia Muhammad Basir[2]
[1.] PhD Candidate in Faculty of Architecture, University of Damascus.
Email: wasela3.keshkiah@damascusuniversity.edu.sy
[2.] Professor in Faculty of Architecture, University of Damascus.

Received:30/9 /2022
Accepted:21 /2/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:

Yabroud was known in ancient history as one of the most important prehistoric settlements. Numerous excavations and discoveries have been made in rock shelters. However, information about settlement in this area after this period remained few and scattered. This paper aims to determine the beginning of urban and its spreading in Yabroud till the middle of the twentieth century. We try to collect excavation reports that were carried out on Yabroud, and historical studies of the region through many periods. This was supplemented by working on the land to document the existing traditional buildings, trying to identify the determinants of urban and the obstacles to its spread.

The research demonstrated that settlement began in stone shelters above the mountains surrounding Yabroud, then down at the edge of the agricultural plain in the days of the Canaanites, then moved to the middle of the plain above a hill of lime in the days of Arameans. Later the city expanded around the hill at first, then to the east and west, forming the T-shape which continued till the mid-20th century.

Keywords: Settlements, Urban Expansion, Aramaic, Roman, Yabroud.

المقدمة:

صنف الآثاريون مدينة يبرود في ريف دمشق الشمالي من إحدى أقدم الحواضر المأهولة بالعالم ومن المواقع المهمة على الصعيد الأثري، إذ توجد فيها مجموعة كبيرة من المواقع والأبنية الأثرية تعود لعصور مختلفة بدءاً من الحجرية القديمة حتى الإسلامية إلى يومنا هذا.

الشكل(1) صورة لوادي اسكفتا توضح مواقع الملاجئ الثلاثة (روست، 1987)

جغرافياً، تقع يبرود على الطريق السريع الرابط بين حمص ودمشق، على بعد حوالي 80كم شمال دمشق و91 كم جنوب حمص (الشكل1). مناخها معتدل صيفاً وبارد شتاءً. هطول الأمطار فيهامنخفض، بمتوسط حوالي 150ملم (المديرية العامة للأرصاد الجوية). يبرود، كلمة آرامية، ذكرها بطليموس القلوذي في القرن الثاني الميلادي باسم يبرودا (روست، 1987، صفحة 5)، وهي تقع على ارتفاع 1420م، بين الهضبة الثانية والثالثة من هضاب القلمون، عند وادي عريض ينحدر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي (زكريا، 1955، صفحة 155). تتوضع بين هذه الهضاب ثلاثة أودية (وادي قرينا في الجنوب الغربي– وادي اسكفتا في الغرب– وادي المشكونة وحريا في الشمال). تجري السيول في هذه الأودية عقب سقوط الأمطار حاملة معها الطمي مشكلة التربة الزراعية الخصبة، ولهذه الوديان الثلاثة أهمية أثرية كبيرة بسبب الاكتشافات والدراسات التي أجريت فيها (عقيل، 1995، صفحة 5–8).

1. هدف البحث:

معرفة بداية الاستيطان وحركة انتشار العمران في منطقة صغيرة في سورية (أي يبرود)، بدءاً من العصر الحجري القديم حتى منتصف القرن الماضي.

2. أهمية البحث:

أُجري في يبرود العديد من التنقيبات الأثرية التي تناولت بشكل أساسي عصور ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى الفترة الكنعانية. علاوة على ذلك، تم العثور على العديد من الأدلة التاريخية والآثرية على الاستيطان المستمر في تل القبع منذ العصر الآرامي. لكن المعلومات بعد ذلك تعد نادرة، لذلك يسعى البحث في هذه الورقة لمعرفة حدود المدينة بعد توسعها خارج التل (تل القبع)، من خلال ملاحظة آثارها على الأرض، مثل الكنائس والمباني القديمة، لمعرفة اتجاه وانتشار العمران حتى منتصف القرن الماضي، أي قبل وصول الخدمات إليها (مياه_كهرباء_صرف صحي)، وفرض قوانين ومواد البناء الحديثة.

منهجية البحث:

قامت المنهجية على مرحلتين، اعتمدت المرحلة الأولى على الدراسة النظرية من خلال جمع ودراسة تقارير التنقيب التي أجريت في يبرود (العصر الحجري والكنعاني)، والاطلاع على الدراسات التاريخية للمنطقة (العصور الآرامية والرومانية والبيزنطية والإسلامية)، مكّن ذلك من تحديد جدول زمني تاريخي لمدينة يبرود، ومعرفة أماكن الاستيطان من وجهة نظر الآثار والتاريخ. المرحلة الثانية، اعتمدت على الدراسة التحليلية الميدانية. أولاً من خلال توثيق أماكن الكنائس التي كانت موجودة سابقاً، لمحاولة استقراء حدود العمران في الفترة البيزنطية. ثانياً من خلال العمل على الأرض لرسم حدود

المدينة في منتصف القرن العشرين من خلال توثيق أماكن المباني التقليدية القائمة.

3. الحفريات الأثرية:

3.1. العصور الحجرية:

بحلول عام 1930م، كانت المعلومات حول حضارة القلمون ما قبل التاريخ قليلة (Nasralla, 1951)، حيث لم تكن مدينة يبرود تُعرف بعد كواحدة من أهم مناطق الاستيطان البشري في عصور ما قبل التاريخ، إلى أن اكتشف عالم الآثار الألماني ألفريد روست (Alfred Rust) مصادفة –خلال رحلته الشهيرة بالدراجة عبر الشرق الأدنى– ثلاثة ملاجئ صخرية في وادي اسكفتا. (شكل2)، والذي كشف عن حضارة متقدمة للبشرية ما قبل التاريخ (عقيل، 2001، صفحة 21). اكتشف في هذه الملاجئ طرق جديدة لصنع الأدوات الحجرية، والتي أطلق عليها (الصناعة اليبرودية)، (شكل2). وجد روست أدوات صوان مُصنَّعة وأدوات بشرية تعود لفترة ما قبل التاريخ. اعتبرت الملاجئ مراكز سكن بشري كثيف ومستمر امتدت منذ العصر الحجري القديم (الباليوليت[1])، عبر العصر الحجري الأوسط (الميزوليت[2]) إلى العصر الحجري الحديث (النيوليت[3]).

أنجز روست سنة 1950 أبحاثاً وضعها في كتاب بعنوان مكتشفات مغاور يبرود باللغة الألمانية قدم فيها مقارنات ممتعة مع مواقع المشرق العربي ومثيلاتها الأوروبية، وكان حصيلة أول تنقيب منهجي وعلمي منتظم في مواقع عصور ما قبل التاريخ (روست، 1987، صفحة 9).

بعد الاكتشاف العظيم الذي قام به روست، أصدرت المديرية العامة للآثار والمتاحف (DGAM) في عام 1945 تعليمات ببعثة استكشافية أثرية لوضع قائمة بالمواقع الأثرية في القلمون. اكتشفت البعثة العديد من الأدوات الحجرية من الفترتين الموستيرية والنحاسية شبيهة بما تم العثور عليه في فلسطين. تم العثور على هذه الأدوات في أودية قرينا واسكفتا والمشكونة. وخلصت البعثة إلى أن مناطق القلمون التي عاش فيها انسان عصور ما قبل التاريخ عديدة وغنية. ففي منطقة مثل يبرود، التي لا يزيد عرضها عن ستة كيلومترات، أحصوا 20 مركزاً، ونفس الشيء في النبك وقارة (Nasralla, 1951).

على أثر الاهتمام الكبير بالمواد المكتشفة في ملاجئ يبرود، قررت بعثة الشرق الأدنى بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية إرسال بعثة تنقيب برئاسة البروفيسور سوليكي (Solecki)، وتم ذلك خلال فترة ثلاثة مواسم تنقيب، بين (1963–1965) (Farrand, 1965). كانت أهم مساهمة للبعثة الأمريكية: وجود مدافن ملكية شمال الوادي تعود للعصر البرونزي (تضم17 شاهدة)، إضافة صناعة جديدة إلى سلسلة صناعات يبرود في الملجأ (IV) مقابل الملجأ (I) والذي أطلق عليها (صناعة الشميس[4])، اكتشاف مواد أثرية جديدة في الملجأ (I)، إيجاد آثار للحيوانات في الملاجئ (I + IV)، وأخيراً جمع بيانات جيولوجية هامة. حيث وُجد أن وادي اسكفتا تشكل نتيجة ظروف جيولوجية مرتبطة بتدفق نهر قديم في المنطقة خلال الفترة الجليدية الأولى، وهو نهر المجر متدفقاً من الشمال عبر قواعد الحجر الجيري القاسي (Solecki & Solecki, 1966).

استأنف البروفيسور رالف سوليكي وزوجته عملهما في يبرود، بين عامي (1987–1989م). وخلصوا إلى أن يبرود ومحيطها منطقة جذابة لرجل العصر الحجري القديم (Solecki & Solecki, 1989-1988).

بين عامي 2006 و2010 م، قامت بعثة أثرية ألمانية من جامعة توبنغن باستكشاف ملاجئ وادي المشكونة، على بعد كيلومترين من وادي اسكفتا. تمكنت البعثة من الكشف عن

[1] الباليوليت : العصرالحجري القديم 10000-1000000 سنة ق.م.
[2] الميزوليت : العصر الحجري الوسيط 8000- 12000 سنة ق.م.
[3] النيوليت : العصر الحجري الحديث 8000-4000 سنة ق.م.
[4] نسبة لاسم الجبل الواقع شمال وادي اسكفتا.

عدة طبقات أثرية تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط والمتأخر (Conard & Kandel, 2010).

3.2. **العصر الكنعاني:**

من الواضح أن منطقة يبرود وما حولها كانت جاذبة للانسان بسبب وفرة الملاجئ، والمواد الخام والمياه والحيوانات (شعث، 1988–1989). وإذا كانت الحفريات السابقة قد أعطت فكرة عن أهمية يبرود في العصور الحجرية، فإن المصادفة التي حدثت في شباط عام 1964 مع مزارع محلي في (خابية رشيدة) شمال وادي اسكفتا، أدت إلى اكتشافات سلطت الضوء على يبرود في العصر الكنعاني (العصر البرونزي الأوسط 1950–1500 قبل الميلاد)، وعلى تواصل يبرود الحضاري مع باقي مناطق الشام. نتج عن الحفريات ظهور تسعة مقابر صندوقية في صفوف متوازية من الشمال إلى الجنوب، وذلك قرب مستشفى يبرود، منها قبر أمير قبيلة كنعانية عاش في يبرود (موجود في متحف دير عطية حالياً). كما تم العثور في هذه المقابر على العديد من الأدوات البرونزية (فؤوس وخناجر وسكاكين ومجوهرات .... إلخ)، والعديد من الأواني الفخارية والأختام الأسطوانية. وهذا يعطي فكرة عن الشراكة بين يبرود ودول أخرى في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين. وخلصت البعثة إلى أن هذه المقابر التسعة من نوع ميغالي تنتمي إلى إحدى العشائر الكنعانية التي نشأت من شبه الجزيرة العربية في الموجة الثانية للهجرة العربية واستقرت في بلاد الشام وأقامت ممالك منها مملكة يبرود. بدأ إنشاء المقبرة في خابية رشيدة في أوائل العصر البرونزي (2100–1900 قبل الميلاد) واستمر استخدامها خلال العصر البرونزي الوسيط (حتى 1400 قبل الميلاد)(أبو عساف، 1965).

في عام 1965، استأنفت بعثة المديرية العامة للآثار والمتاحف أعمال التنقيب في المنطقة المحيطة للتأكد من وجود أو عدم وجود مقابر أخرى، ووجد أن منطقة خابية رشيدة تحتوي _بالإضافة إلى المقبرة الصغيرة_ على بقايا منازل من الألفية الرابعة قبل الميلاد. توصلوا بسبب الآثار المكتشفة إلى أن سكانها من البدو الذين مكثوا لفترة قصيرة ثم غادروا. لكن بحلول نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، حدث تغيير ثقافي مع وصول سكان جدد، تشير بقاياهم إلى أنهم كانوا أيضاً من البدو. وفي الألفية الثانية قبل الميلاد، تم التخلي عن خابية رشيدة بشكل كامل مع وصول مجموعات جديدة طردت آخر السكان وحولت منطقتهم السكنية إلى قبور بينما سكنت هي السهل. ونتيجةً لذلك، ظهرت مدينة جديدة في سهل يبرود (أبو عساف، 1967)، وما زالت آثارها حتى اليوم تنتظر من يكتشفها.

4. الدراسات التاريخية:

1.6. **العصر الأرامي:**

حدثت هجرة الآراميين من شبه الجزيرة العربية إلى سورية في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد. وهكذا أصبحت يبرود إحدى الممالك الآرامية المزدهرة حيث بني معبد الشمس (Nasralla، 1958–1959). قامت المجموعة الآرامية ببناء مدينتها على قمة تل الحجر الجيري (القبع) الذي نشأ في وسط سهل زراعي، يجري أسفله جدول ماء. وقد أقاموا علاقات تجارية مع المناطق المجاورة (عقيل، 2001، صفحة 60).

تعتبر تلة القبع اليوم نواة المدينة الحالية (شكل3). حيث يروي كبار السن أنهم سمعوا من أجدادهم أن مدينة يبرود كانت متمركزة على تل القبع، محاطة بسور، مع العديد من الأنفاق المحفورة تحت الأرض، والتي يستخدمها السكان الأصليون للوصول إلى الممر المائي أسفل التل في حالة الحروب والحصار.

خضعت منطقة القلمون على مر العصور لسيطرة عدة إمبراطوريات، مثل الفراعنة في مصر والحثيين والآشوريين والبابليين، والذين استمرت سيطرتهم حتى عام (539 ق.م)، ثم انتقلت إلى الفرس واستمرت تحت سيطرتهم حتى العام (331

ق.م) بمجيء الاسكندر المقدوني، حيث فقدت يبرود استقلالها وأهميتها. بعد وفاة الاسكندر كانت سورية من نصيب قائده الأول (سلوقس)، قسمت السلوقيون سورية إلى مقاطعات كانت فيها يبرود إحدى أهم مناطق مقاطعة فينيقية اللبنانية، ودامت الدولة السلوقية حتى عام (64 ق.م) عندما استولى الرومان على سورية. دخلت المدينة تحت الحكم التدمري بقيادة زنوبيا التي جعلتها مصيفها المميز، وحاولت جر مياها الى تدمر بقساطل فخارية ما تزال بعض أثارها مطمورة في يبرود، وفي عام (272م) قضى الرومان على مملكة تدمر (عقيل،2001، صفحة 99-117).

2.6. العصر الروماني والبيزنطي:

أقام الرومان موقعاً عسكرياً في يبرود، وسط المدينة، على رأس تل القبع، ولا تزال بعض آثاره ظاهرة (الشكل4)، كما شيدوا العديد من المعابد والمقابر المنتشرة حول المدينة. مثل معبد الهواء الطلق على الامتداد الصخري الواسع غرب وادي اسكفتا، يحتوي عدة قبور للكهنة، والذي يعتبر هيكل فريد في سورية، لا مثيل له إلا في البتراء، ومعبد حوريات الماء بوادي قرينا (Nasralla، 1959، 1958-1959). فيما بعد تحول المعبد إلى دير للرهبان المسيحيين قبل أن يختفي. من المحتمل أن تكون بقاياه مدفونة في الوادي كما يروي كبار السن أن الأحجار المنحوتة كانت تُنقل في الماضي من هذا الموقع لإعادة استخدامها في البناء (عقيل، 1995).

الشكل(3) تل القبع (المصدر: موقع المديرية العامة للآثار والمتاحف (www.dgam.gov.sy).

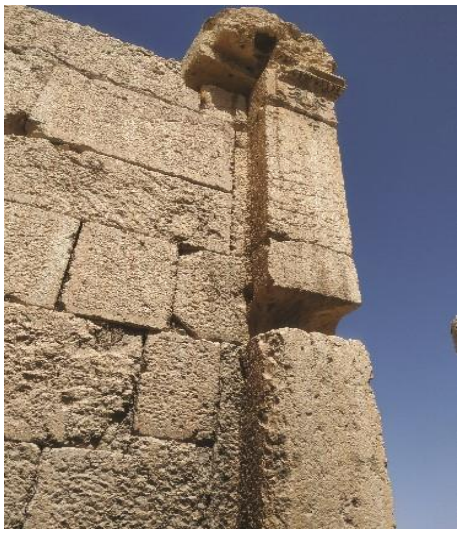

الشكل(4) بقايا القلعة الرومانية اعلى تل القبع. تصوير الباحث

كما تم حفر العديد من القبور في الصخر، وأهمها المدفن الملكي الذي تم التنقيب عنه في الجرف الصخري غرب وادي اسكفتا (يطلق عليه عند المسلمين مغارة الشيخ محمد وعند المسيحيين مغارة مار سابا)، يضم صالتين وغرفة دفن تحتوي على /17/ قبراً يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والرابع (Nasralla، 1953). بالإضافة إلى كهف المنقورة والعديد من التوابيت التي تم حفرها في المنحدر الغربي لجبال قرينة (النواويس، والتي شكلت فيما بعد ملجأ للرهبان (Nasralla، 1956)، (الشكل5).

يمكن القول إن القلمون قد قدم نفسه في الفترتين الرومانية والبيزنطية كمنطقة منسحبة تعيش في ظل مدينتين هامتين هما حمص ودمشق. لكنه في الوقت نفسه بقي أمن وراء حدوده المحصنة بعيداً عن طرق جيوش الغزاة الموازية للسواحل الغربية، مما جعله على هامش الحياة السياسية (زكريا، 1955)، وأتاح لمدنه حياة هادئة بقيت فيها اللغة الآرامية هي اللغة السائدة، وتقدم في مجالات الزراعة والتجارة (Nasralla، 1956). ومع ذلك، فقد شكلت يبرود خلال الحكم الروماني المركز الأكثر إثارة للإعجاب في القلمون، ويتجلى ذلك في بناء معبدها (المقام على أنقاض معبد بعل شمين إله الشمس)

الشكل(5) من اليمين إلى اليسار؛ المقبرة الملكية في جبال اسكفتا، المقابر الحجرية (النواويس) في جبال قرينا، كهف المنقورة. تصوير الباحث

والقلعة (Acropole) والمقبرة (Nécropole). أقيمت المدينة اليونانية على التلة الوسطى (القبع)، ثم توسعت جنوباًعن بعيداًعنالأراضي الزراعية (Nasralla، 1953)،، حيث تم بناء معبد (معبد الإله جوبيتر تكريماً لكوكب المشتري Maleciabrudis) (Nasralla، 1958–1959)، والذي سيتحول فيما بعد إلى كنيسة ثم كاتدرائية بجوار مساكن رجال الدين.

نظراً لأنه كان من الصعب على المساكن الجديدة تسلق المنحدر الحاد لتل الحجر الجيري (المسمى اليوم القوز)، فقد امتدت عند القاعدة، على حدود البساتين مفضلة الجانب الغربي، وصلت على الأرجح إلى حي (فقرو) الحالي. وقد اقترح الباحث الأرشمندريت يوسف نصرالله أن المدينة كانت منتشرة على مساحة كبيرة (Nasralla، 1956)، بينما تنتشر المقابر في الجانب الشرقي من تل الجير (القوز) (Nasralla، 1953). ويُذكر أن السكان المحليون الذين بنوا مساكنهم التقليدية في فقرو وعلى منحدر القوز أفادوا أنهم عثروا على العديد من القبور أثناء عملية التأسيس وكان عليهم ملؤها بالحجارة لإكمال البناء.

3.6. العصر الإسلامي:

بحلول نهاية القرن الأول الهجري (حوالي 700م)، تم تعريب بلاد الشام كلها، واختلط الفاتحون العرب بالسكان. وقد ظلت القلمون في زمن الحكم الإسلامي من معاقل الجبل التي تُرك فيها المسيحيون لعبادتهم طالما دفعوا الجزية. وعندما هاجم الصليبيون بلاد الشام، بقيت المناطق الداخلية بما فيها القلمون محصنة ضد هجماتهم (عقيل،2001، صفحة 175).

واصل القلمون الدوران في فلك دمشق متأثراً بكل الخلافات السياسية حتى بسط العثمانيون سلطتهم على سورية (ليلا، 2008، صفحة 14). في ذلك الوقت كانت منطقة القلمون، بما فيها بيرود، تحت سلطة الحاكم العثماني لدمشق أو أمراء لبنان، أحدهم الأمير فخر الدين المعني الثاني. وهذا الوضع ربط منطقة القلمون ببعلبك أكثر من باقي المدن السورية، الأمر الذي شجع الكثير من العائلات في بعلبك والبقاع على الانتقال إليها(عقيل،2001، الصفحة 191–193). بعد هزيمة الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى، أصبحت سورية تحت الاحتلال الفرنسي (1920–1946).

يوضح الشكل6 التسلسل الزمني التاريخي لمدينة بيرود منذ العصر القديم وحتى منتصف القرن العشرين.

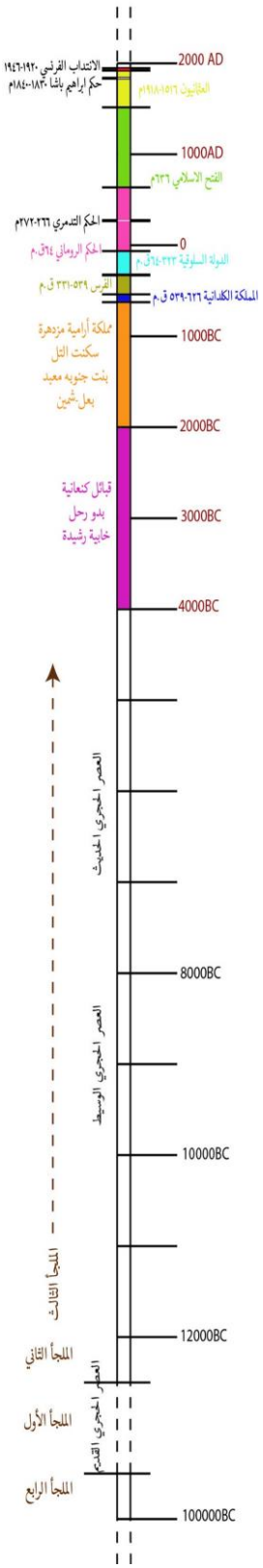

الشكل(6) الجدول الزمني لتاريخ يبرود، من إعداد الباحث.

5. الدراسة الميدانية:

1.7. حدود المدينة في العصر البيزنطي:

في أوائل القرن العشرين، أحصى المؤرخ الزيات عدد الكنائس في يبرود، والتي يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات: (الزيات، 1902، الصفحات 166–167) انظر الشكل9.

I. كنائس كانت موجودة في عصره ولا تزال حتى اليوم:

– كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانة، أكبر وأقدم الكنائس في يبرود، وكانت سابقاً معبد جوبتر.

– كنيسة السيدة، تقع شمال شرق يبرود وسط الحقول. تم ترميمها نهاية القرن الماضي. كانت فيما مضى معبداً وثنياً ثم تحول الى دير وكنيسة مسيحية. لا تزال بعض جدرانها موجودة، وقد بنيت فوقها في السنوات الأخيرة كنيسة حديثة على شكل قفص مغلف للآثار الظاهرة.

– كنيسة القديس اسطفانوس التابعة للروم الأرثوذكس منذ عام 1834م، وتم اعادتها من تحت الأنقاض.

II. كنائس تحولت إلى مسجد أو ركن للمسلمين:

– تم تحويل كنيسة القديس نقولاوس إلى مسجد الخضر وهو أقدم مسجد في يبرود.

– تحولت كنيسة النبي الياس قرب كنيسة مار نقولاوس الى ركن للمسلمين.

– تحولت كنيسة القديس جاورجيوس في تل القبع الى ركن للمسلمين.

III. كنائس تهدمت:

– كنيسة مار قزمان ودميانوس (المعروفة بمار قزمان) كانت تقع جنوب مدرسة الروم الكاثوليك في زمن الزيات، واليوم لا يوجد بقايا لكنيسة بل أبنية وركن صغير للمسلمين.

– كنيسة القديس جاورجيوس، هدمت وأعيد استخدام حجارتها في إعادة بناء وترميم كنيسة كبيرة مجاورة.

– كنيسة زنوبيا المعروفة باسم مقام زنوب أو زينب، وقد هدمت بالإضافة إلى ممتلكات أخرى مجاورة_ وبني في مكانها مدرسة إسلامية.

2.7. حدود المدينة القديمة:

من أجل ربط هذه الدراسات التاريخية بالوضع الحالي في يبرود، وثق البحث المباني التقليدية القائمة في مدينة يبرود بمساعدة متطوعين من الطلاب وخريجي كليات الهندسة المعمارية بجامعتي دمشق والبعث. حيث تم تقسيم المدينة إلى /12 منطقة/، تم التعامل مع كل منطقة من قبل مجموعة مكونة من 2–3 متطوعين. يقتصر عملهم على زيارة المنطقة وتحديد مواقع المباني التقليدية على صور القمر الصناعي للمنطقة المدروسة، وأخذ صور للمباني بالتوازي مع ملء استمارة تتضمن الحالة الفيزيائية لهذه المباني وطبيعة الاستثمار والنمط والموقع من المنطقة المدروسة، الحي.....الخ.

تم تنزيل البيانات الناتجة عن هذا التوثيق على برنامج Google Earth، ثم تم إجراء تحليل للعوامل التي أثرت على التوسع الحضري. وهذه العوامل هي:

I. مسار النهر الذي كان المحدد الرئيسي للانتشار العمراني قبل وصول إمدادات المياه إلى المدينة.

II. الأراضي الزراعية الخصبة ومسار السيول التي كان ينبغي للمباني والإنشاءات تجنبها.

III. أحداث تاريخية أثرت على المنطقة، كان من أبرزها هجر قرية بالقرب من يبرود، والتي ذكرها النابلسي باسم بلدة الصالحية في رحلته التي قام بها في القرن الثامن عشر (1105هـ). وروى أنه مر ببلدة مدمرة تقع شرقي يبرود، حيث نفدت مياهها، فهجرها أهلها (النابلسي، 1986، صفحة 27). في عام 1757 دمر سيل هائل بقايا هذه البلدة (الحلاق، 1959، صفحة 220). ويعتقد أن هؤلاء جاءوا إلى يبرود واستقروا في الأراضي الخالية على أطرافها الشرقية. ويمكن الاستدلال على ذلك من اسم الحي الشرقي الذي يسمى اليوم "حي الصالحية".

أخيراً، اعتمد هذا التحليل على ذاكرة السكان من موقع المباني التقليدية التي أزيلت، وحدود المدينة قبل سبعين عاماً.

6. التحليل والمناقشة:

فيما يتعلق بالدراسات التاريخية والأثرية في يبرود وقراءة الوضع الحالي للمباني التقليدية القائمة، يمكننا استنتاج التطور التاريخي للمدينة حتى منتصف القرن الماضي:

منذ العصر الحجري، اتضح أن منطقة يبرود ومحيطها كانت جذابة بسبب وفرة الملاجئ والمواد الخام والمياه والحياة الحيوانية الغنية (Solecki & Solecki, 1989-1988). ثم حدثت قفزة نوعية عندما انتقل الناس من قطف الثمار وصيد الحيوانات إلى رعي وزراعة الأرض، حيث ظهر نمط اقتصادي جديد (عقيل،2001، صفحة 58–56). ربما حدث هذا مع ظهور موجات متتالية من العشائر الكنعانية في الألفية الرابعة قبل الميلاد، استقرت في سفوح جبال اسكفتا المطلة على الأراضي الزراعية، واستمرت حتى الألفية الثانية قبل الميلاد عندما ظهرت مدينة جديدة على تلة القبع (أبو عساف،1967).

الشكل(7) مدينة يبرود يظهر عليها: مواقع كهوف االنسان الحجري، منطقة االستيطان في الفترة الكنعانية ، المدينة آآل ارمية فوق تل القبع.

عبر السيد طومان في كتابة "الجغرافيا البشرية"، بحسب ماقاله زكريا، " إذا لم نتمكن من التأكيد على أنها (أي تل القبع) مأهولة بالسكان منذ العصور الأولى من التاريخ، فيمكننا على الأقل أن ندعي أن التل كانت مدينة مأهولة في العصر الكلاسيكي" (زكريا، 1955، صفحة 159). بينما كانت

المساكن على التلة القاحلة، امتدت الأراضي الزراعية تحتها من جميع الجهات. (الشكل7). وعندما أصبح التل مزدحماً بدأ السكان ببناء منازلهم أسفله دون التعدي على الأراضي الزراعية، مبتعدين عن مسارات السيول، متجهين جنوباً نحو معبد جوبيتر، بينما كانت معابدهم الأخرى ومقابرهم في الجبال المحيطة بالمدينة. كان هذا هو وضع المدينة في العصر الروماني. (الشكل8).

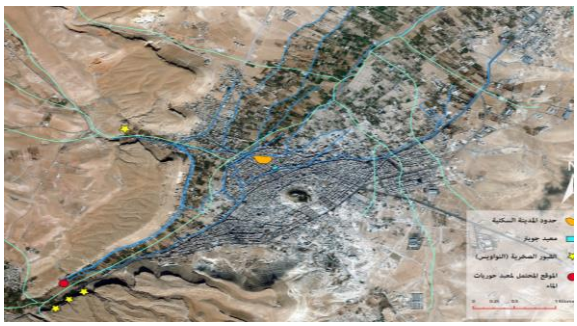

الشكل(8) يبرود في العصر الروماني. من إعداد الباحث.

امتد العمران في العصر البيزنطي باتجاه المنحدرات الطباشيرية (تل القوز) كما يتضح من موقع الكنائس، حيث يمكن أن نفترض أن حدود المدينة وامتدادها قد تماشى مع موقع الكنائس وقتها (الشكل9). ومع عدم القدرة على الابتعاد عن النهر بسبب الاحتياجات اليومية (الغسيل والطبخ والشرب)، فقد توقف البناء في أسفل التل الطباشيري (القوز) وامتد على طول المسار المائي إلى الغرب والشرق على شكل حرف T، (Thoumin, 1932, p. 20) (زكريا،

1955، صفحة 160). استمر هذا الأمر فترة من الزمن، محققاً هدفين: الحفاظ على الأمن حيث كانت المنازل متلاصقة مع بعضها البعض، وكذلك تجنب احتلال الأراضي الزراعية الثمينة.

في فترات لاحقة ومع توسع المدينة اضطرت المساكن لتسلق التل الكلسي (القوز)، ولكن لمسافة تبقيها قريبة من النهر وموازية له إلى الشرق والغرب، ومحافظة بذلك على شكل حرف T، (الشكل10).

ظل هذا الوضع مستمر حتى منتصف القرن العشرين.

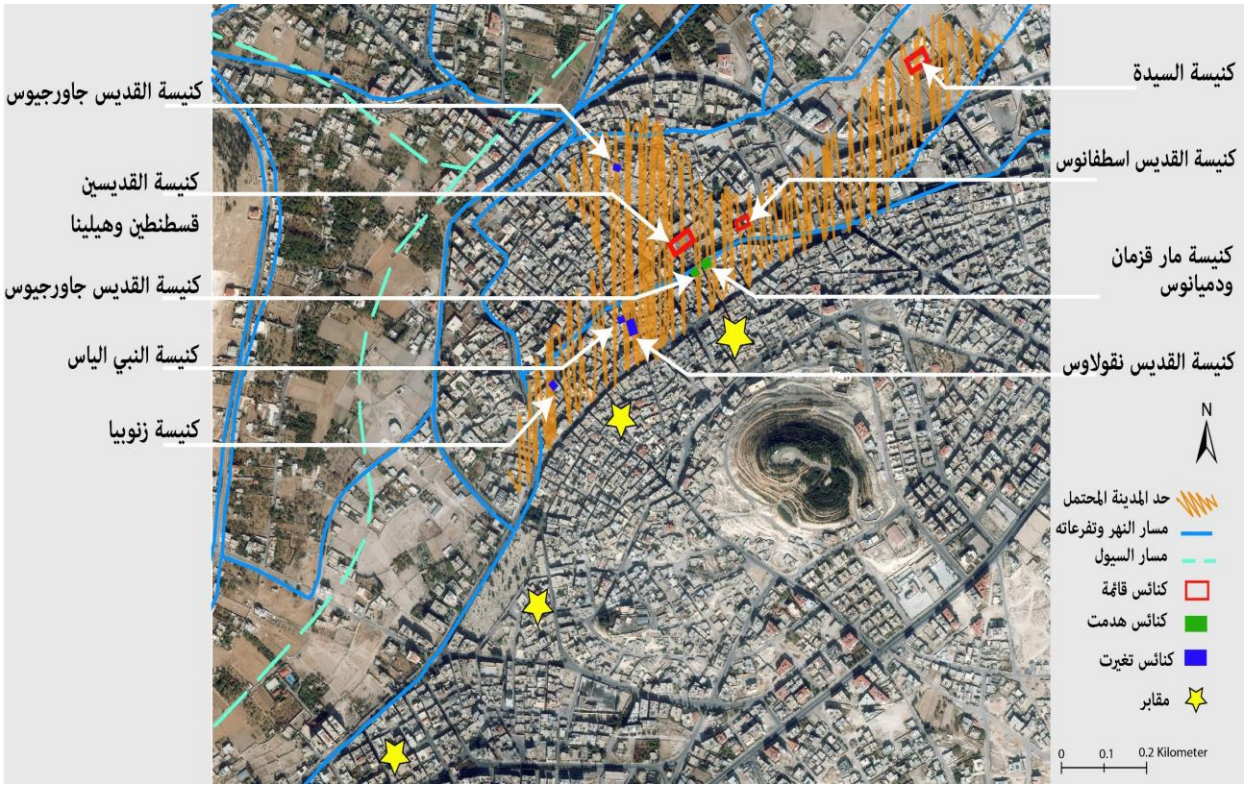

الشكل(9) بيرود في العصر البيزنطي. من إعداد الباحث.

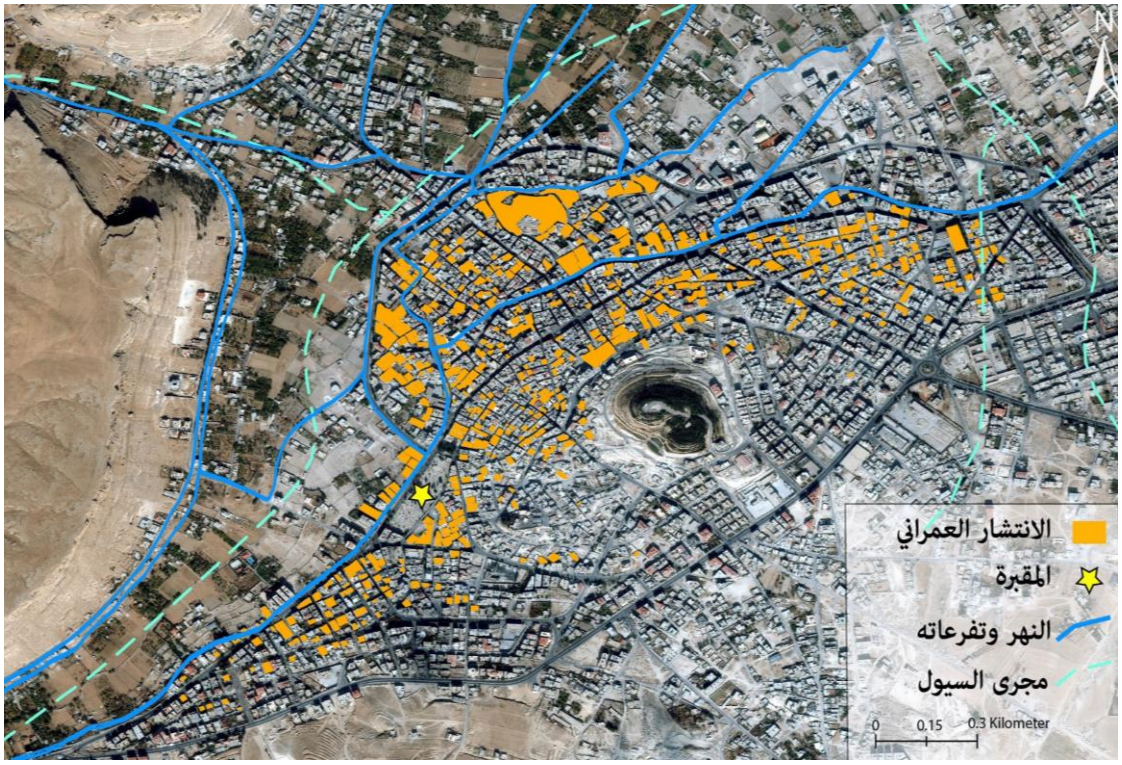

الشكل(10) العمران في يبرود منتصف القرن العشرين. من إعداد الباحث.

في ذلك الوقت، لعب النهر مع أشجار الحور الطويلة على جانبيه، والبساتين الخضراء والجبال ذات التكوينات الصخرية المميزة في الخلفية، دور أساسي في رسم الخصائص الجمالية للمناظر الطبيعية في يبرود. ومع دخول الخدمات وتركيب البنية التحتية وشبكات الكهرباء بالإضافة إلى مواد البناء الحديثة، توسعت المدينة وتغيرت كثيراً وفقدت مياها وسحرها.

عام 1959م، صدر نظام ضابطة البناء وتحديد الوجائب العمرانية لكل بلدة أو قرية ذات مخطط تنظيمي، وبّين كيفية أخذ رخص البناء وشروط إنشاء الأبنية وموادها وأبعادها (دغمان، 1999، صفحة 59). وبالنسبة ليبرود، فإن أول مخطط تنظيمي ونظام ضابطة بناء وضع لها كان عام 1964م (وزارة الإسكان والاشغال العامة)، فنمت أحياء جديدة وهدمت العديد من المنازل التقليدية القديمة وأقيمت مكانها أبنية اسمنتية حديثة ذات طوابق متعددة (عقيل،1995، صفحة 53)، مما انعكس على التراث المعماري المحلي للمدينة وتم فقد الطابع العمراني المميز، انظر الأشكال (12،11)

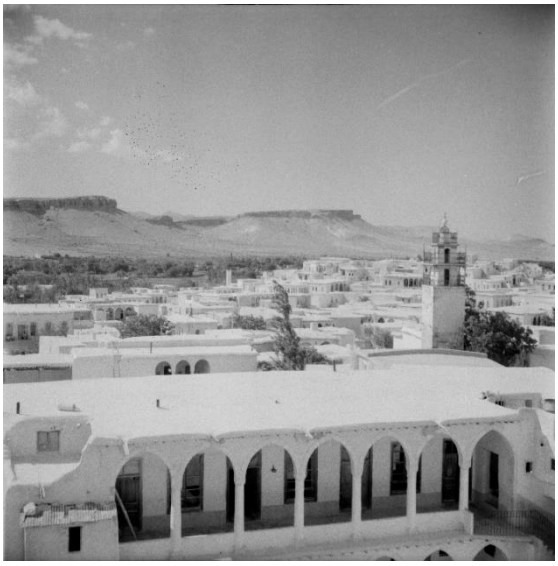

الشكل رقم(11) صورة يبرود في الخمسينيات، أرشيف الباحث خالد معاذ.

الشكل(12) يبرود حالياً (2022)، نفس موقع التقاط صورة الخمسينيات مع اختلاف الارتفاع والجهاز. تصوير الباحث.

بالنظر إلى الدراسة التاريخية والحفريات الأثرية والانتشار العمراني للمدينة الحالية، يُمكن رسم صورة أولية لحركة الاستيطان في يبرود من العصر الحجري حتى منتصف القرن العشرين. على الرغم من وجود العديد من الثغرات المفقودة في التسلسل الزمني والتي تحتاج إلى مزيد من العمل والحفريات والتنقيب، إلا أنه يمكن الوصول إلى الاستنتاجات التالية:

- كانت منطقة يبرود ومحيطها في العصر الحجري جذابة بسبب وفرة الملاجئ والمواد الخام والمياه والحياة الحيوانية الغنية. فظهرت العديد من مناطق سكن الانسان القديم في كهوفها، وخاصة كهوف جبل اسكفتا، بينما تدفق نهر المجر في الوادي أسفلها.
- ظهر الكنعانيون في يبرود في الألفية الرابعة قبل الميلاد واستوطنوا سفح جبال اسكفتا. استمر وجودهم حوالي ألفي سنة.
- في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، ظهر الآراميون في يبرود أعلى تل كلسي (القبع) وسط السهل الزراعي، وبنوا معبد الشمس خارج التل إلى الجنوب.
- خضعت بعدها يبرود لسيطرة عدة إمبراطوريات، أهمها الإمبراطورية الرومانية التي ما تزال أثارها في المدينة موجودة إلى اليوم، أهمها المعابد كمعبد جوبتر الذي بني على أثار معبد الشمس، والقلعة أعلى تل القبع، والعديد من المدافن والقبور الصخرية في الجبال المحيطة بيبرود.
- عندما ازدحم تل القبع، بدأ السكان ببناء منازلهم أسفله مبتعدين عن الأراضي الزراعية والسيول، ومتجهين جنوباً نحو معبد جوبيتر.
- مع تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية، تحول معبد جوبتر الى كنيسة ثم كاتدرائية، وتوسعت المدينة باتجاه المنحدرات الطباشيرية (تل القوز)، وظهرت فيها العديد من الكنائس. ويمكن افتراض حدود المدينة وقتها من موقع هذه الكنائس وانتشارها، ومن مسار النهر وضرورة البقاء بجواره مع تجنب الأراضي الزراعية والسيول. فظهرت المدينة على شكل حرف T.
- ظل هذا الشكل مستمراً، حيث تتوسع المدينة الى الشرق والغرب بمحاذاة مجرى النهر حتى منتصف القرن العشرين.

- بشكل عام، أعطى موقع يبرود ومناخها والغنى بالمياه وطبيعة أرضها الجبلية وامتلاكها لكنوز آثرية (من العصر الحجري الى يومنا هذا) قيمة تاريخية وسياحية كبيرة بالإضافة لصناعتها، مما جعلها محط أنظار واهتمام الباحثين والمؤرخين على امتداد العصور.

7. التوصيات:

- نظراً لأهمية يبرود وفق ماتم ذكره، يوصي البحث ضرورة إيلاء المنطقة الاهتمام اللازم والحفاظ عليها، من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف ومجمل المعنيين بمدينة يبرود، خاصة بعد ماطرئ عليها من تخريب متعمد من قبل المخربين والإرهابين والباحثين عن الكنوز.
- إجراء التنقيبات اللازمة لسد الثغرات الموجودة في تاريخ المدينة، حيث يمكن أن تساعد التنقيبات مستقبلاً في تحديد حدود العمران واتجاهه بدقة علمية أكبر بعيداً عن التخمين والاستقراء.
- الاهتمام بموقع تل القبع بعد تنقيبه واستثماره وتحويله الى معلم أثري مهم في المنطقة.
- الاهتمام بالنسيج القديم والمباني التقليدية، وإعادة تأهيل التراث المحلي والعمل على استعادة مكانة يبرود على الخارطة السياحية، لا سيما وأن العديد من آثارها قد سجلت على لائحة المواقع الآثرية الوطنية في أكثر من قرار.

8. شكر وامتنان:

نحن في غاية الامتنان لفريال الدج، ألاء زهرة، عبيدة عبد اللطيف، إسراء ضبعان، عبد الناصر مدخنة، يارا زغيب، محمود يزبك، لين حسن، ملاك النور ونورا الأجرد (خريجو جامعة دمشق_ كلية العمارة)، ملاك ميبر ورنا الدج (خريجو المعهد الهندسي – جامعة دمشق)، بالإضافة لشهد الطبل (خريجة جامعة البعث– كلية العمارة) لمساهمتهم في توثيق المباني التراثية في يبرود. نحن ممتنون أيضاً لأصحاب هذه المباني للسماح لنا بالدخول والتوثيق. كما نود أن نتقدم بالشكر إلى الأب جورج حداد والسيد مرعي البرادعي من جمعية أصدقاء يبرود لمساعدتنا في معرفة موقع الكنائس المختفية والمتغيرة. وأخيراً، الشكر للمحكمين لإعطائهم الوقت في المراجعة ولملاحظاتهم القيَمة التي أغنت البحث.

التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

References:

Conard, N. J., & Kandel, A. W. (2010). The 2008 excavation at the Middle Paleolithic Site of Wadi Mushkuna Rockshelter,Damascus Province, Syria. *Chronique archéologique*(IV), pp. 13-22.

Farrand, W. R. (1965). Geology, Climate and Chronology Yabroud Rockshelter I. *Les annales Archéologiques de Syrie, 15*(1), pp. 35-50.

Nasralla. (1951). Recherche préhistorique à Al-Qalamoun (Syrie centrale). *1*, pp. 80-106.

Nasralla, J. (1953). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine. *Les annales Archéologiques de Syrie, 2*, pp. 149-168.

Nasralla, J. (1956). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine, (Étude de Topographie). *Les annales Archéologiques de Syrie, 6*, pp. 63-86.

Nasralla, J. (1958-1959). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine, (Étude de Topographie). *Les annales Archéologiques de Syrie, 8+9*, pp. 59-80.

Solecki, R. L., & Solecki, R. S. (1989-1988). Archaeological researches at Yabroud, Syria and Vicinity, Summer 1987. *Les annales Archéologiques de Syrie, 38+39*, 9-49.

Solecki, R., & Solecki, R. (1966). New data from Yabroud, Syria. Preliminary report of the Columbia university archaeological investigations. *Les annales Archéologiques de Syrie, 6*, pp. 121-155.

Thoumin, R. (1932). *La Maison Syrienne dans la Plaine Hauranaise Le Bassin Du Barada Et Sur Les PLateaux Du Qalamun.* Paris: Imprimerie des Presses Universitaires de France - Louis Bellenand.

أحمد وصفي زكريا. (1955). الريف السوري- *محافظة دمشق*- وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني اجتماعي زراعي للأقضية والنواحي والقرى العائدة إلى محافظة لواء دمشق. دمشق: مطبعة دار البيان.

أحمدبدير الحلاق. (1959). حوادث دمشق اليومية 1741-1762. القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

ألفريد روست. (1987). . *()*. *مكتشفات مغاوربيرود*. (محمد قدور، المترجمون) دمشق.

نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن .(2006) .ي ,المرعشلي

حبيب الزيات. (1902). *خزائن الكتب في دمشق وضواحيها*. .دار المعرفة :لبنان ,بيروت .(.edالطبعة الأولى)*الخامس عشر* بيروت : مطبعة بيروت.

شوقي شعث. (1988-1989). ترجمة تقرير "تقرير حول الأبحاث الأثرية في يبرود -سوريا صيف 1989" للباحثان رالف وروز سوليكي. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، *38 -39*، الصفحات 161-172.

عبد الكريم خلف. (بلا). *تاريخ القلمون* /تعريف بمدنه وقراها ولمحة عن تاريخها ونشاط سكانها/. دمشق.

عدنان البني. (1966). ترجمة تقرير روز ورالف سوليكي عن التحريات الأثرية لجامعة كولومبيا "دلائل جديدة من يبرود". *مجلة* الحوليات الأثرية العربية السورية، *16*(2)، الصفحات 43-53.

علي أبو عساف. (1965). تقرير أولي عن حفريات مقابر يبرود. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، *15*(2)، الصفحات 59-82.

علي أبو عساف. (1967). الحفريات الأثرية في يبرود عام 1965. *مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 17*، الصفحات 163-167.

محمد النابلسي. (1986). *الحقيقة والمجاز في رحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمكامل ليلا. (2008). *جغرافية القلمون وبلدانه* .

موفق دغمان. (1999). *رسالة دكتوراه بعنوان البناء بمواد محلية لتحقيق وتطوير السكن المحلي "دراسة تحليلية تطبيقية على مثال إقليم دمشق"*. دمشق: جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.

نورالدين عقيل. (1995). *يبرود تاريخ وحضارة*. يبرود: مطبعة يبرود للطباعة والنشر.

نورالدين عقيل. (2001). *صفحات من تاريخ يبرود والقلمون*.

(n.d.). Syrian Weather Stations Data. .1

أبو عساف، علي. (1965). تقرير أولي عن حفريات مقابر يبرود. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 15(2)، الصفحات 59-82.

1. أبو عساف، علي. (1967). الحفريات الأثرية في يبرود عام 1965. مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 17، الصفحات 163-167.

2. البني، عدنان. (1966). ترجمة تقرير روز ورالف سوليكي عن التحريات الأثرية لجامعة كولومبيا "دلائل جديدة من يبرود". مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 16(2)، الصفحات 43-53.

Conard, N. J., & Kandel, A. W. (2010). The 2008 excavation at the Middle Paleolithic Site of Wadi الحلاق، Mushkuna Rockshelter,Damascus Province, Syria. *Chronique archéologique*(IV), pp. 13-22.

Farrand, W. R. (1965). Geology, Climate and Chronology Yabroud Rockshelter I. *Les annales Archéologiques de Syrie, 15*(1), pp. 35-50.

Nasralla. (1951). Recherche préhistorique à Al-Qalamoun (Syrie centrale). *1*, pp. 80-106.

Nasralla, J. (1953). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine. *Les annales Archéologiques de Syrie, 2*, pp. 149-168.

Nasralla, J. (1956). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine, (Étude de Topographie). *Les annales Archéologiques de Syrie, 6*, pp. 63-86.

Nasralla, J. (1958-1959). Le Qalamoun a L'époque Romano-Byzantine, (Étude de Topographie). *Les annales Archéologiques de Syrie, 8+9*, pp. 59-80.

Solecki, R. L., & Solecki, R. S. (1989-1988). Archaeological researches at Yabroud, Syria and Vicinity, Summer 1987. *Les annales Archéologiques de Syrie, 38+39*, 9-49.

Solecki, R., & Solecki, R. (1966). New data from Yabroud, Syria. Preliminary report of the Columbia university archaeological investigations. *Les annales Archéologiques de Syrie, 6*, pp. 121-155.

Thoumin, R. (1932). *La Maison Syrienne dans la Plaine Hauranaise Le Bassin Du Barada Et Sur Les PLateaux Du Qalamun.* Paris: Imprimerie des Presses Universitaires de France - Louis Bellenand.

أحمد وصفي زكريا. (1955). *الريف السوري- محافظة دمشق- وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني اجتماعي زراعي للأقضية والنواحي والقرى العائدة إلى محافظة لواء دمشق*. دمشق: مطبعة دار البيان.

أحمدبدير الحلاق. (1959). *حوادث دمشق اليومية 1741-1762*. القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

ألفريد روست. (1987). . *() مكتشفات مغاوربيرود*. (محمد قدور، المترجمون) دمشق.

حبيب الزيات. (1902). *خزائن الكتب في دمشق وضواحيها*. بيروت : مطبعة بيروت.

شوقي شعث. (1988-1989). ترجمة تقرير "تقرير حول الأبحاث الأثرية في يبرود –سوريا صيف 1989" للباحثان رالف وروز سوليكي. *مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 38 - 39*، الصفحات 161-172.

عبد الكريم خلف. (بلا). *تاريخ القلمون /تعريف بمدنه وقراها ولمحة عن تاريخها ونشاط سكانها/*. دمشق.

عدنان البني. (1966). ترجمة تقرير روز ورالف سوليكي عن التحريات الأثرية لجامعة كولومبيا "دلائل جديدة من يبرود". *مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 16*(2)، الصفحات 43-53.

علي أبو عساف. (1965). تقرير أولي عن حفريات مقابر يبرود. *مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 15*(2)، الصفحات 59-82.

علي أبو عساف. (1967). الحفريات الأثرية في يبرود عام 1965. *مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 17*، الصفحات 163-167.

محمد النابلسي. (1986). *الحقيقة والمجاز في رحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمدكامل ليلا. (2008). *جغرافية القلمون وبلدانه* .

موفق دغمان. (1999). *رسالة دكتوراه بعنوان البناء بمواد محلية لتحقيق وتطوير السكن المحلي "دراسة تحليلية تطبيقية على مثال إقليم دمشق"*. دمشق: جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.

نورالدين عقيل. (1995). *يبرود تاريخ وحضارة*. يبرود: مطبعة يبرود للطباعة والنشر.

نورالدين عقيل. (2001). *صفحات من تاريخ يبرود والقلمون*.

يوسف المرعشلي. (2006). *نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وبذيله عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر* (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار المعرفة.

3. ليلا، محمد. كامل .(2008) . جغرافية القلمون وبلدانه_.

4. موفق دغمان. (1999). رسالة دكتوراه بعنوان "البناء بمواد محلية لتحقيق وتطوير السكن المحلي "دراسة تحليلية تطبيقية على مثال إقليم دمشق". دمشق: جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.

5. وزارة الإسكان والأشغال العامة. ديوان الوزارة.

1

2